# علم المكي والمدني– دراسة في النظرية والتطبيق

**أ.م.د. محمد كاظم الفتلاوي**
**كلية التربية/ جامعة الكوفة**

**المقدمة:**

إنّ من خصائص التشريع الإسلامي أنه نزل متدرجاً، وكانت الآيات القرآنية تنزل على النبي (ص) مواكبة لمسيرة المجتمع الإسلامي، محتضنة ذلك المجتمع الوليد، مصححة مسيرته، ومؤكدة سداد طريقه، راسمة له معالم الطريق، مشرعة أحكاماً ضرورية لاستقامة أمره، ناصحة له أن يتكافل ويتعاون ويتناصر في سبيل الدفاع عن عقيدته.

ومثلما كان حادث الهجرة العظيم فارقاً أساسياً بين مرحلتين مختلفتين من مراحل الدعوة الإسلامية، كان هذا الحادث كذلك فارقاً بين نوعين من القرآن هما: القرآن المكي والقرآن المدني.

ومما يعظم شأن المدينتين المقدستين في كون الأولى منزل للوحي ونبع الإسلام والثانية قوة الإيمان وأساس الدولة العادلة، ولم يكتفيا بذلك بل راحتا تحتلان مكانة متميزة في علوم القرآن الكريم، أرقى العلوم الإسلامية، وبالذات في مسألة على قدر عالٍ من الأهمية، وهي سوره وآياته وتقسيمها حسب وقت نزولها ومكانها، فكان منها ما نسب إلى مكة وهو (المكي) وبين ما نسب إلى المدينة وهو (المدني).

وقد نزل على النبي (ص) القرآن الكريم في الأمصار والقرى والجبال والوهاد والأودية والسفوح والدور والبراري وفي أوقات مختلفة في الليل والنهار، والسفر، والحضر، والصيف، والشتاء، والسلم، والحرب[١].

وبسبب ترتيب الآيات والسور في المصحف لم يعتمد على تأريخ نزولها، وإنما اعتمد على بيان رسول الله (ص) وقراءته للقرآن وتعليمه، كما لم يعد (تأريخ نزول الآيات والسور محفوظاً على نحو مفصل، لأن الصحابة لم يعتنوا بهذا الجانب من تأريخ القرآن، وإنما كانت عنايتهم متجهة الى حفظه على نحو ما يقرؤه لهم النبي (ص))[٢]، وكذلك لما في معرفة السور المكية والمدنية من فوائد عديدة لفهم النصوص القرآنية واستيفاء معانيها واستقصاء مدلولاتها، كان لتظافر هذه الأسباب أن دعت العلماء الى العناية

الفائقة في معرفة مكان النزول وزمن النزول، إذ ان (من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة؛ ابتداء ووسطا وانتهاء، وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك..)[٣].

وقد اعتمد العلماء على (إشارات تأريخية ومعنوية ارتبط بها نزول آيات وسور من القرآن ظلت تشير الى وقت نزولها ومكانه)[٤]، فحفظ العلماء تلك الإشارات واعملوا فكرهم في البناء عليها، حتى صارت علماً من علوم القرآن يسمى بعلم المكي والمدني، وأفردوه بالتصنيف[٥].

ومعلوم ان إعمال الفكر والاجتهاد يؤدي لأختلاف الآراء في مجال العلوم ويكون له أثر ونتائج، لا سيما في مجال الدراسات القرآنية وخصوصاً إذا تعلق بهذا العلم – علم المكي والمدني–.

ومن هنا كانت أهمية موضوع البحث التي تكمن في ان المكي والمدني هما عماد مهم في فهم تاريخ التشريع الإسلامي، والوقوف على المؤثرات المكانية والزمانية وتجلياتها في تدرج التشريع، ومن ثم معرفة ما استقرت عليه الأحكام القرآنية في نتيجتها النهائية وإدراك الثابت والمتغير في مسائل مختلفة.

ولم يكن هم الباحث في هذا البحث هو تقصي آيات القرآن الكريم بالتفصيل، وأن نحقق منها ما كان مكياً وما كان مدنياً فإن هذا جدير بأن يفرد في مؤلف مستقل لأهميته.

اما خطة البحث فكانت من مقدمة وتمهيد وخمسة مطالب؛ تعرض المطلب الأول الى ضوابط وقواعد المكي والمدني، والمطلب الثاني عن أهمية تقسيم القرآن الى مكي ومدني، والمطلب الثالث كان في الخصائص والمميزات الموضوعية في السور المكية والمدنية، والمطلب الرابع فكان تحت عنوان طريقة معرفة المكي والمدني، والمطلب الخامس فهو في أثر المكي والمدني في تربية الإنسان، ثم بخاتمة وقائمة بالمصادر. وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم.

**تمهيد: نشأة علم المكي والمدني:**

ان لفظ المكي والمدني مركب تركيباً عطفياً. فلغة: هو نسبة إلى مكة والمدينة، واصطلاحاً: هو علم يبحث منازل القرآن المكي والمدني، وكل ما يتعلق بذلك من ملابسات الأحوال..

وذلك إن القرآن الكريم لم ينزله الله تعالى على نبيه (ص) جملة واحدة، بل أنزله منجماً ومفرقاً بحسب الوقائع التي تقتضي نزول ما ينزل منه.

قال تعالى: Πوَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاO[٦]

أي: أنزلناه كذلك لتثبيت فؤادك بالوحي المتتابع الذي تتجدد به صلتك بالله □.

وكان نزول القرآن على نبيه في مدى ثلاث وعشرين سنة تقريباً، فبعضه نزل في مكة، وبعضه الآخر نزل بالمدينة بعد الهجرة، فكان ينزل عليه القرآن أينما أقام في السفر والحضر، فكان منه المكي والمدني.

وتجدر الاشارة ان لفظ (المكي والمدني ليس لفظاً شرعياً حدد النبي مفهومه لكي نحاول اكتشاف ذلك المفهوم، وانما هو مجرد اصطلاح تواضع عليه علماء التفسير)[٧]، وذلك ان علم المكي والمدني بدأ بشكل روايات يتناقلها الصحابة والتابعون، (ولم يرد في ذلك بيان عن النبي (ص)، وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان، كيف وهم يشاهدون الوحي والتنزيل ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عيانا، (وليس بعد العيان بيان))[٨].

وفي عصر التابعين ظهرت مؤلفات لعلم المكي والمدني، وأصبح هذا العلم علماً مستقلاً، له مصادره الأصلية، وكان من الكتب المؤلفة فيه:

١. "نزول القرآن" الهلالي الضحاك بن مزاحم (ت:١٠٤هـ).

٢. "نزول القرآن" البربري عكرمة أبي عبد الله القرشي (ت:١٠٥هـ).

٣. "نزول القرآن" البصري الحسن بن أبي الحسن (ت:١١٠هـ).

٤. "تنزيل القرآن" الزهري محمد بن مسلم بن شهاب (ت:١٢٤هـ).

٥. "التنزيل في القرآن" الكوفي علي بن الحسن بن فضال (ت:٢٢٤هـ).

٦. "فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة" أبن الضريس البجلي أبي عبد الله محمد بن أيوب (ت:٢٩٤هـ).

**المطلب الأول: ضوابط وقواعد المكي والمدني:**

أولاً: ضوابط تحديد المكي والمدني:

تعددت اجتهادات العلماء حول تحديد ماهية المكي والمدني من القرآن الكريم، وذلك لاختلاف الملاك عندهم، ويمكن ان نرصد اربعة ضوابط منها وعلى النحو الآتي:

الضابط الأول: اعتبار المخاطب:

إن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة، وعليه فكل سورة ذكر فيها خطاب: Πيا أَيُّها النَّاسُO أو Πيَا بَنِي آَدَمَO، فهي مكية لأن غالب أهل مكة مشركون، أما السور التي يذكر فيها خطاب: Πيا أيها الذين آمنواO فهي مدنية لأن غالب أهل المدينة مؤمنون، فخاطبهم بالصفة الغالبة عليهم وهي الإيمان.

وهو ما استفاده أصحاب هذه الضابطة من قول الصحابي عبد الله بن مسعود: (كل شئ نزل فيه: (يا أيها الناس) فهو بمكة، وكل شئ نزل فيه (يا أيها الذين آمنوا) فهو بالمدينة)[٩]

والظاهر ان كلام ابن مسعود لا يمكن الاستدلال به على تأكيد هذه الضابطة لأنه لم يكن قاصداً وضع ضابط للمكي والمدني، وإنما أراد بيان علامة من علامات السور القرآنية المكية والمدني، أو كان في محل تفسير لبيان المراد بهذا الخطاب.

وقد عمم بعضهم هذا الضابط، بالنظر الى موضوع السورة أو الآيات دون تقييد بصيغة معينة للخطاب، وان (المكي ما نزل في شأن أهل مكة سواء نزل في مكة نفسها أم في مكان قريب منها أم نزل في المدينة نفسها أم في سفر، وسواء نزل قبل الهجرة أم بعدها والمدني ما لم ينزل في شأن المكيين ومن على شاكلتهم من عبدة الأصنام وعلى هذا المذهب يكون المعتبر في التقسيم المخاطبين)[١٠].

ولم يسلم هذا الاعتبار من النقد وذلك بأنه غير ضابط ولا حاصر، بأنه غير مطرد، لأن سورة البقرة مدنية بالاتفاق وفيها خطاب مكي: Πيا أَيُّها النَّاسُO في موضعين: قال تعالى: Πيَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ

الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَO[١١]، قال تعالى: Πيَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌO[١٢].

وسورة النساء مدنية بالاتفاق وفيها: Πيَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ..O[١٣]. إذن هذا الضابط لا ينطبق دائماً.

الضابط الثاني: زمن النزول:

ويمتاز هذا القول بشمول تقسيمه جميع القرآن، ولا يخرج عنه شيء حتى كان عموم قولهم في المدني: (ما نزل بعد الهجرة)، يشمل ما نزل بعد الهجرة في مكة نفسها في عام الفتح، أو عام حجة الوداع –البلاغ–، مثل آية: Πالْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْO. كما يشمل ما نزل بعد الهجرة خارج المدينة في سفر من الأسفار أو غزوة من الغزوات.

إذن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان خارج مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بغير المدينة قريباً منها أو بعيداً عنها حتى وان كان في مكة، فالضابط في ذلك زمن النزول، فما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة أو عَرفة فهو مدني، كالذي نزل عام الفتح، كقوله تعالى: Πإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَاO[١٤]، أو نزل في حجة الوداع – البلاغ – كقوله تعالى: Πالْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًاO[١٥].

تنبيه: قال الزركشي وهو يذكر اصطلاحات المكي والمدني: (والثاني – وهو المشهور – أن المكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة)[١٦]، فقوله: (وإن كان بالمدينة..)؛ فهذا اشتباه، ولعله سبق قلم، إذ كيف ينزل القرآن على النبي (ص) بالمدينة قبل هجرته إليها!! وإنما المراد وإن كان بغير مكة.

الضابط الثالث: مكان النزول:

إن المكي ما نزل على النبي بمكة وما جاورها (منى، وعرفات، والحُدَيْبِيَة)، والمدني ما نزل عليه بالمدينة (بدر، وأُحُد، وسَلْع).

ولم يسلم هذا الاعتبار من النقد، فهناك قرآن نزل الأسفار بعيداً عن مكة والمدينة، مثل القرآن الذي نزل بتبوك، أو بيت المقدس، أو الطائف، فهذا نزل بعيداً عن مكة والمدينة، ولا نستطيع أن نعده مكياً أو مدنياً. وعليه فلا يترتب على هذا الرأي ثنائية القسمة، فما نزل عليه بالأسفار مثل: سورة الأنفال، وسورة الفتح، وسورة الحج، لا يطلق عليه مكي ولا مدني.

الضابط الرابع: اعتبار الموضوع:

من خلال الاستقراء الشامل لموضوعات السور المكية والمدنية، تمكن العلماء من أن يقفوا على ضوابط ومميزات لكل من المكي والمدني، واستطاعوا أن يخرجوا من السور المدنية الآيات المكية ويلحقوها بزمرتها، كما استطاعوا ان يخرجوا من السور المكية الآيات المدنية ويلحقوها بزمرتها، ومع أهمية هذا الاعتبار إلا أننا لا نقدمه على الضابط الزماني.

فالراجح من هذه الضوابط والتعريفات هو الضابط الثاني للأسباب الآتية:

١- إنه ضابط وحاصر ومطرد لا يختلف، واعتمده العلماء واشتهر بينهم.

٢- إن الاعتماد عليه يقضي على معظم الخلافات التي أثيرت حول تحديد المكي والمدني، والتي كان منها:

أ- الآيات التي نزلت خطاباً لغير أهل مكة وأهل المدينة، كالتي نزلت للناس أجمعين.

ب- الآيات التي نزلت في غير مكة والمدينة.

ت- الإختلاف الموضوعي والأسلوبي بين ما نزل من القرآن قبل الهجرة وما نزل بعدها.

٣- إنه أقرب إلى فهم الصحابة حيث إنهم عدوا من المدني سورة التوبة، وسورة الفتح وسورة المنافقون، ولم تنزل سورة التوبة كلها بالمدينة، فقد نزل كثير من آياتها على رسول الله (ص) وهو في طريق عودته من تبوك، ونزلت سورة الفتح على النبي (ص) وهو عائد من صلح الحديبية، ونزلت سورة المنافقون عليه، وهو في غزوة المصطلق.

وإذا قلنا إن الضابط الزماني هو الأصح، فلا يعني هذا إهمال الضوابط الثلاثة الأخرى، فجميع هذه الضوابط مهمة وهي مفيدة جداً في مجال التفسير، والوقوف على المراحل التي مرت بها الدعوة، قال الدكتور صبحي الصالح: (إن معرفة المكي والمدني هو في آن واحد ترتيب زماني وتحديد مكاني وتعيين شخصي وتبويب موضوعي)[١٧].

وهنا نسأل لماذا الهجرة هي المُعَوَّل عليها في هذا التقسيم بين المكي والمدني، ولعل نظرة بسيطة على أحداث سيرة النبي (ص) تُبين لنا ان الهجرة المباركة ليست (مجرّد حادث عابر في حياة الدعوة وإنما هي حدّ فاصل بين مرحلتين من عمر الدعوة، وهما مرحلة العمل الفردي ومرحلة ضمن دولة)[١٨]، فهي نقلة واضحة في حياته وحياة الدعوة الإسلامية، ويكفينا أن نُشير الى أنه بالهجرة تحققت نواة دولة المسلمين، وأصبحت لهم دار وقوة، فناسب ذلك نوع من التشريع الملائم للظرف الحالي، وهذا واضح المعالم في طبيعة النصوص النازلة بعد الهجرة، أسلوباً وموضوعاً، وهذا المتضح – كما سيأتي – في خصائص السور المكية والسور المدنية وموضوعاتها.

ثانياً: القواعد التي يقوم عليها علم المكي والمدني:

بعد بيان ضوابط تحديد المكي والمدني نلحظ ان هناك قواعد يقوم عليها هذا العلم ولا يمكن لمن رام تفسير القرآن الكريم إلا الألتزام بها وتطبيقها على نصوص القرآن الكريم، وهي:

القاعدة الأولى: القول في تفاصيل المكي والمدني موقوف على النقل عمن شهدوا الوحي والتنزيل[١٩].

قال ابن الحصّار الأندلسي (ت:٦١٠هـ): (وكل نوع من المكي والمدني منه آيات مستثناة، إلا أن من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل)[٢٠].

القاعدة الثانية: الأصل في السورة المكية أن تكون كل آياتها مكية، ولا يقبل القول بمدنية بعض آياتها إلا بدليل استثنائي صحيح، كما أن السورة المدنية يحكم بجميع آياتها بأنها مدنية، إلا ما خرج بدليل استثنائي صحيح.

القاعدة الثالثة: القرآن المدني ينسخ المدني الذي نزل قبله، وينسخ المكي أيضاً، ولا يجوز أن ينسخ المكي المدني.

القاعدة الرابعة: المدني من السور ينبغي أن يكون منزلاً في الفهم على المكي، وكذلك المكي بعضه مع بعض، والمدني بعضه مع بعض، على حسب ترتيبه في التنزيل، وإلا لم يصح، والدليل على ذلك (أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على المكي؛ كما أن المتأخر من كل واحد منهما مبني على متقدمه، دل على ذلك الاستقراء)[٢١].

القاعدة الخامسة: قد يستمر نزول السورة فتنزل في أثناء مدة نزولها سور أخرى.

هذا ويلاحظ الفرق بين القاعدة والضابط، فالقاعدة لا تختص بباب معين، بخلاف الضابط فإنه خاص بباب معين.

**المطلب الثاني: أهمية تقسيم القرآن الى المكي والمدني:**

ان ترتيب القرآن الكريم على تواريخ تنزلاته لم يعد ممكناً، وذلك لطول المدة التي نزل فيها، وتعدد مرات نزول الوحي، وتنوع الظروف التي ينزل فيها، وترتيب القرآن في سوره على نحو آخر غير ترتيب النزول، وبهذه الأسباب (لا شك ان السور والآيات القرآنية لم تثبت في القرآن على ترتيب نزولها على الرسول)[٢٢].

قال محمّد بن سيرين (ت:١١٠هـ) – تابعي –: (قلت لعكرمة: ألفوه كما أنزل الأوّل فالأوّل قال: لو اجتمعت الإنس والجن على أن يؤلفوه هذا التأليف ما استطاعوا)[٢٣]. إذ كان (علماء الإسلام الماضون وخاصة أهل السنة منهم كانوا يعتمدون في ترتيب السور والآيات على الحديث)[٢٤]، وتمكنوا من تحديد السور المكية والسور المدنية وأن يرتبوها ترتيباً تقريبياً حسب أوقات نزولها، معتمدين في ذلك على نزول أول السورة، كما روي عن ابن عباس أنه قال: (كانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما شاء)[٢٥].

وهذه الرؤية المنهجية لترتيب النزول، وتنزيل اللاحق في الفهم على السابق من أهم أسباب معرفة هدايات القرآن وأسرار تفسيره، يقول الشاطبي: (فَلَا يَغِيبَنَّ عَنِ النَّاظِرِ فِي الْكِتَابِ هَذَا الْمَعْنَى؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَسْرَارِ عُلُومِ التَّفْسِيرِ، وَعَلَى حَسَبِ الْمَعْرِفَةِ بِهِ تَحْصُلُ لَهُ الْمَعْرِفَةُ بِكَلَامِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ)[٢٦].

ويمكن بيان فوائد تقسيم السور والآيات إلى مكي ومدني من خلال:

١. معرفة بعض الأبحاث المتعلّقة بالدعوة الإسلامية، وسيرة الرسول.

٢. الاطّلاع على كيفية نزول الأحكام التشريعية وتدرّجها بحسب ما تقتضيه أحوال المخاطبين واستعداداتهم للقبول والتنفيذ.

٣. الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم؛ إذ إن معرفة مكان نزول الآية تعين على فهم المراد بالآية ومعرفة مدلولاتها، وما يراد فيها.

٤. التمكين من فهم القرآن من خلال الواقع الذي كان ينزل فيه، وبذلك يستطيع المسلم أن يضع نصوص الكتاب في مواضعها، فالخطاب المكي مثلاً يراعى فيه حال الاستضعاف للمؤمنين، بخلاف الخطاب المدني ففيه مراعاة القوة والتمكين للمؤمنين، وما يقتضيه كل وضع من تلك الأوضاع المختلفة قاعدة عظيمة لفقه شرائع الإسلام، وتنزيل كل شئ منزلته[٢٧].

٥. معرفة بعض الأبحاث القرآنية والعقدية والتاريخية، من قبيل: مسألة الإمامة وما يرتبط بها من حوادث تاريخية، كحادثة غدير خم[٢٨].

٦. علم المكي والمدني يُعين الدارس على معرفة تاريخ التشريع والوقوف على سُنة الله الحكيمة في تشريعه، بتقديم الأصول على الفروع، وترسيخ الأسس الفكرية والنفسية، ثم بناء الأحكام والأوامر والنواهي عليها، مما كان له الأثر الكبير في تلقي الدعوة الإسلامية بالقبول، ومن ثم الإذعان لأحكامها.

٧. تمييز الناسخ من المنسوخ، يرى النحاس[٢٩]، والزركشي[٣٠]، والسيوطي[٣١]، وتبعهم كثيرون من المعاصرين، أن من فوائد العلم بالمكي والمدني تمييز الناسخ من المنسوخ. ولكن المتتبع للآيات المنسوخة في القرآن الكريم لا يجد في الحقيقة آيات مكية منسوخة[٣٢].

٨. الوقوف على أحد أبعاد إعجاز القرآن الكريم وتعذّر تحريفه، من خلال التأمّل والتدبّر في خصائص السور المكية والمدنية وضبط تاريخ نزولها.

٩. تذوق أساليب القرآن الكريم والاستفادة منها في أسلوب الدعوة.

**المطلب الثالث: الخصائص والمميزات الموضوعية في السور المكية والسور المدنية:**

أولاً: خصائص المكي ومميزاته الموضوعية:

أ) خصائص السور المكية:

١. قصر حجم السور المكية وقصر آياتها وإيجاز خطابها. واشتمالها على كليات الشريعة، بلا تفصيل(٣٣).

٢. شدة لهجة الآيات، وأسلوبها التقريعي، وفيها لفظ (كَلَّا) ولا سيما في مجادلة المشركين وتفنيد معتقداتهم(٣٤).

٣. كل سورة وردت فيها عبارة Πوَمَا أَدْرَاكَO وهي صيغة استفهامية تفيد التهويل، والتفخيم، لما يذكر بعدها، وقد وردت في القرآن كله ١٣ مرة في ١٠ سور.

٤. كثرة استعمال خطاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾. عدا سورة الحج فإنها مكية مع أن آخرها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾.

٥. كل سورة فيها ذكر آدم (ع) وإبليس فهي مكية سوى سورة البقرة.

٦. كل سورة مفتتحة بـ(الحمد) فهي مكية، وهي خمس سور.

٧. كثرة ذِكر قصص الأنبياء السابقين وأممهم.

٨. كثرة ورود القسم فيها، كالقسم بالله، ويوم القيامة.

٩. الحروف المقطعة في أوائل السور مثل (آلم) (حم) من سمات السور المكية عدا سورتي البقرة وآل عمران.

١٠. كل سورة فيها سجدة فهي مكية (الأعم من السجدات المستحبة والواجبة).

ب) المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب فيمكن إجمالها فيما يأتي:

١. الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده، وإثبات الرسالة، وإثبات البعث والجزاء، وذكر القيامة وهولها، والنار وعذابها، والجنة ونعيمها، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية، والآيات الكونية. فالمجتمع المكي كان (مجتمعاً يتّسم بطابع الوثنية في الجانب العقدي، فكان من الطبيعي تأكيد فكرة رفض الشرك والوثنية والدخول في مناقشة طويلة معهم)[٣٥].

٢. وضع الأسس العامة للتشريع والفضائل الأخلاقية التي يقوم عليها كيان المجتمع، وفضح جرائم المشركين في سفك الدماء، وأكل أموال اليتامى ظلماً، ووأد البنات، وما كانوا عليه من سوء العادات الجاهلية، فكانت الأخلاق هدف رسالياً في تغيير الإنسان وتربيته وتكامله.

٣. ذكر قصص الأنبياء (ع) والأمم السابقة زجراً لهم حتى يعتبروا بمصير المكذبين قبلهم فهي (تصور المراحل المتعددة للدعوة والمواقف المختلفة منها، والقوانين الاجتماعية والتأريخية التي تتحكم فيها وفي نتائجها، والمصير الذي يواجهه أعداؤها)[٣٦]، وكذلك تسلية لرسول الله (ص) حتى يصبر على أذاهم ويطمئن إلى الانتصار عليهم.

٤. قصر الفواصل مع قوة الألفاظ، وإيجاز العبارة، بما يصخ الآذان، ويشتد قرعه على المسامع، ويصعق القلوب، ويؤكد المعنى بكثرة القسم، كقصار المفصل إلا نادراً.

٥. ويُلاحَظ في العهد المكّي أيضاً أنّه حين يكون المقصود توجيه الخطاب لأحد طغاة أئمّة الشرك الذين وصلوا إلى مستوى المواجهة الصّريحة بمعاداة الرّسول والقرآن والمسلمين، فإنّ القرآن يؤثر طريقة التعريض، وذكر الصفات دون التصريح بالاسم؛ إذْ يكون القرآن الكريم باختياره هذه الطريقة قابلاً لأن ينطبق على أشباه هذا الطاغي ونظرائه، في كل العصور والأزمان اللاحقة. يُضاف إلى ذلك أنّ هذا الأسلوب هو أسلوب الكبار الذين يسهل عليهم أن يعاقبوا الطغاة، وينتقموا منهم ويهلكوهم، وينفّذوا تهديدهم لهم وما يوجّهونه لهم من وعيد.

ثانياً: خصائص المدني ومميزاته الموضوعية:

أ) خصائص السور المدنية:

١. كل سورة فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ فهي مدنية.

٢. كثرة استخدام الأدلّة والبراهين على الحقائق الدينية.

٣. كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية سوى العنكبوت فإنها مكية.

٤. كثرة تشريع آيات الأحكام في ما يتعلّق بالفرد والمجتمع، من حدود وفرائض ومعاهدات وشؤون الحكم والشورى والإرث[٣٧].

٥. الأمر بالجهاد أو الإذن به أو الحديث عن أحكامه.

٦. مجادلة أهل الكتاب ودعوتهم إلى عدم الغلو في دينهم.

ب) المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب فيمكن إجمالها فيما يأتي:

١. السور المدنية تفصيل للسور المكية وتقرير لها. فهي بيان للإمامة، والعبادات، والمعاملات، والحدود، ونظام الأسرة، والمواريث، وفضيلة الجهاد، والصلات الاجتماعية، والعلاقات الدولية في السلم والحرب، وقواعد الحكم، ومسائل التشريع.

٢. مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ودعوتهم إلى الإسلام، وبيان تحريفهم لكتب الله، وتجنيهم على الحق، واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم.

٣. يغلب على الآيات والسور المدنية أنها طويلة وأسلوبها هادئ يقرر الشريعة ويوضح أهدافها ومراميها[٣٨].

٤. الكشف عن سلوك المنافقين، وتحليل نفسيتهم، وإزاحة الستار عن خباياهم، وبيان خطرهم على الدين.

٥. وأسلوب العهد المدني يراعي طريقة تفكير البيئة المدنيّة التي فيها ثلاث قبائل من أهل الكتاب واليهود، الذين يعرفون من الكتب السابقة طرائق البيانات التفصيلية في الجمل والفقرات والآيات الطوال. وتوجّه القرآن بخطابهم منذ بداية العهد المدني في سورة البقرة بآيات مطوّلات متتابعات فيها سجلّ أحداثهم.

**المطلب الرابع: طريقة معرفة المكي والمدني:**

لابد من الاشارة الى أسباب الاحتياج الى طريقة لمعرفة المكي والمدني، إذ ان هناك أسباباً أدت إلى اختلاف أهل العلم حول تعيين المكي والمدني، وتنحصر تلك الأسباب فيما يلي:

أولاً: عدم التنصيص من الرسول (ص) على هذا الأمر، فلم يرد عن النبي أنه قال: هذه السورة أو الآية مكية، وتلك السورة أو الآية مدنية.

ثانياً: الاختلاف في تحديد مصطلح المكي والمدني.

ثالثاً: عدم التمييز بين ما هو صريح في السببية وما هو غير صريح فيها. يعني أنه وقع من بعض الرواة لأسباب النزول – لعدم تمييزهم بين القصة الصريحة في السببية وبين القصة التي ذكرت كتفسير للآية وبيان معناها – أن ألحق بعض الآيات المكية في السور المدنية، كما ألحق بعض الآيات المدنية في السور المكية، اعتماداً على تلك الأسباب غير الصريحة.

رابعاً: توهم قطعية بعض الضوابط وخصائص المكي والمدني، مع أن تلك الضوابط والخصائص مبناها على الغالبية، لا على التحديد القاطع الذي لا يقبل التخلف أو الاستثناء.

خامساً: الاعتماد على الروايات الضعيفة التي لا ترتقي بمستوى الاحتجاج رغم وجود روايات صحيحة في الموضوع.

وقد وقع الخلاف بين أهل العلم في طريقة معرفة المكي والمدني، فبعضهم اعتمد على:

١. منهج سماعي نقلي استقرائي: يستند إلى الرواية الصحيحة عن الأئمة الأطهار (ع) والصحابة والتابعين الذين عاصروا الوحي وشاهدوا نزوله، أو عن التابعين الذين تلقوا عن الصحابة وسمعوا منهم كيفية النزول ومواقفه وأحداثه. وسند ذلك ماورد عن الإمام علي (ع) قوله: (ما نزلت من القرآن آية إلا وقد علمت أين نزلت، وفيمن نزلت، وفي أي شئ نزلت، وفي سهل نزلت، أو في جبل نزلت)[٣٩].

وأيد هذا المنهج جملة من العلماء منهم القاضي أبو بكر الباقلاني (ت:٤٠٢هـ) إذ قال: (إنما يرجع في معرفة المكي والمدني لحفظ الصحابة والتابعين، ولم يرد عن النبي (ص) في ذلك قول، لأنه لم يؤمر، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة)[٤٠].

ويمكن أن نستخلص من كلام الباقلاني الآتي:

١. إنه لم يرد عن النبي شئ في تحديد المكي والمدني لأنه لم يؤمر به.

٢. إنه يرجع في معرفة ذلك لما ورد من نقل صحيح عن المعصوم (ع) والصحابة والتابعين مما يُعرف من خلاله المكي والمدني.

٣. إنه علم اجتهادي يجوز الاجتهاد فيه ولذا يسوغ وقوع الاختلاف فيه.

٤. إن علمه ليس واجباً على كل مسلم، وإنما هو فرض كفائي يقوم به بعض العلماء لمعرفة الناسخ والمنسوخ وتاريخ التشريع وتدرجه، وسير الدعوة.

أما سبب عدم وجود روايات عن النبي (ص) في بيان السور المكية والمدنية ومن ثم الرجوع الى الأخذ بمرويات عن أهل البيت (ع) والصحابة والتابعين! فذلك ان النبي (ص) لم يُبين السور المكية والمدنية لأن بيانها يُعد من البديهيات الواضحة لجميع المعاصرين لزمن نزول النص القرآني وظروفه، فلم يكن حينها ما يوجب بيانه لهم. وقد أحسن الزرقاني في المقام إذ قال: (لم يرد عن النبي بيان المكي والمدني، وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان، كيف وهم يشاهدون الوحي والتنزيل، ويشهدون مكانه وزمانه، وأسباب نزوله عيانا، وليس بعد العيان بيان)[٤١].

٢. منهج اجتهادي استنباطي (عقلي): يستند إلى خصائص المكي وخصائص المدني، فإذا ورد في السورة المكية آية تحمل طابع التنزيل المدني أو تتضمن شيئاً من حوادثه قالوا: إنها مدنية، وإذا ورد في السورة المدنية آية تحمل طابع التنزيل المكي، أو تتضمن شيئاً من حوادثه قالوا: إنها مكية، وهذا قياسي اجتهادي، ولهذا نجدهم يقولون: كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية فهي مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حدّ فهي مدنية.

قال المفسر الغرناطي (ت:٧٤١هـ) محمد بن أحمد بن جزي: (واعلم أنّ السور المكية نزل أكثرها في إثبات العقائد والردّ على المشركين، وفي قصص الأنبياء. وأنّ السور المدنية نزل أكثرها في الأحكام الشرعية، وفي الردّ على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين، والفتوى في مسائل، وذكر غزوات النبي. وحيث ما ورد: يا أيها الذين آمنوا فهو مدني، وأما: يا أيها الناس، فقد وقع في المكيّ والمدنيّ)[٤٢].

وقد أيد هذا المنهج السيد الطباطبائي، إذ قال: (فإذاً الطريقة الوحيدة لمعرفة المكي والمدني هو التدبر في الآيات والنظر في مدى موافقتها لما جرى قبل الهجرة أو بعدها هذه الطريقة مفيدة إلى حد ما للتمييز بين المكي والمدني، فان مضامين سورة الإنسان والعاديات والمطففين تشهد بأنها مدنية بالرغم من أنها ذكرت في بعض الأحاديث على انها مكية)[٤٣].

ولعل سبب اللجوء الى هذا المنهج يعود الى ندرة الروايات الموضحة للمكي والمدني، وضعف أغلب الروايات الواردة، وتعارض بعضها مع البعض الآخر، ويؤكد هذا المعنى المفسر محمد عزة دروزة؛ إذ قال: (بعض ما روي مدنية من السور أولى أن يكون مكّياً أو بالعكس)[٤٤]، مع هذا ربما نجد في كتب الإمامية بعض الروايات عن أئمة أهل البيت – وإن كانت قليلة وربما ضعيفة سنداً – يستفاد منها أو نص فيها على أن هذه السورة أو الآية مكية أو مدنية، منها ما رواه زرارة بن أعين (ت:١٤٨هـ) عن الإمام محمد الباقر (ع) قال: قال علي بن أبي طالب (ع): (نزلت سورة المائدة قبل أن يقبض النبي (ص) بشهرين أو ثلاثة)[٤٥].

٣. الجمع بين المنهج النقلي والمنهج العقلي: ولعل هذا الطريق هو الاسلم، ولكن بشرط التأمل في الآيات والسور فضلاً عن الاعتماد على بعض الروايات الصحيحة عندها يمكن القول بصحة هذا الطريق.

وأيد هذا المنهج الدكتور داوود العطار، إذ قال: (فإنه بهذا الجمع تكون النتائج أقرب إلى العلم، وأبعد عن الظن والتخمين. إذ أن الطريقة الاستقرائية عاجزة تقريباً عن تمييز كثير من السور والآيات المكية، لفقدانها الأحداث المهمة، والنصوص التى تعوّل عليها في التمييز. كما أن الطريقة الاستنباطية طريقه

قياسية أو تخمينية، فالخصائص المستنبطة إنما هي غالبه، وليست قطعية خاصة بالمكي أو بالمدني. لذا رجح لدينا الجمع بين السماع والقياس فى التمييز)[٤٦].

فكان عدد السور المكية بهذا اثنين وثمانين سورة (٨٢) سورة، وعلى النحو الآتي: الأنعام، الأعراف، يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، النحل، الإسراء، الكهف، مريم، طه، الأنبياء، الحج، المؤمنون، الفرقان، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، سبأ، فاطر، يس، الصافات، ص، الزمر، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، ق، الذاريات، الطور، النجم، القمر، الواقعة، الملك، القلم، الحاقة، المعارج، نوح، الجن، المزمل، المدثر، القيامة، الإنسان، المرسلات، النبأ، النازعات، عبس، التكوير، الانفطار، الانشقاق، البروج، الطارق، الأعلى، الغاشية، الفجر، البلد، الشمس، الليل، الضحى، الانشراح، التين، العلق، العاديات، القارعة، التكاثر، العصر، الهمزة، الفيل، قريش، الماعون، الكوثر، الكافرون، والمسد.

والسور المدنية عشرون (٢٠). وعلى النحو الآتي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، النور، الأحزاب، محمد، الفتح، الحجرات، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الجمعة، المنافقون، الطلاق، التحريم، والنصر.

والسور المختلف فيها: اثنتا عشرة سورة (١٢). وعلى النحو الآتي: الفاتحة، الرعد، الرحمن، الصف، التغابن، المطففين، القدر، البينة، الزلزلة، الإخلاص، الفلق، والناس.

ومن أمثلة للآيات المكية في سور مدنية وبالعكس:

١: آيات مكية في سور مدنية:

أ- سورة الأنفال كلها مدنية ما عدا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ...﴾[٤٧].

ب- سورة المجادلة كلها مدنية ما عدا قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ﴾[٤٨].

٢: آيات مدنية في سور مكية:

أ- سورة يونس كلها مكية ما عدا قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ..﴾[٤٩]. وقوله: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلْ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنْ الْمُمْتَرِينَ، وَلا تَكُونَنَّ مِنْ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾[٥٠].

ب- سورة الكهف مكية واستثنى من أولها إلى ﴿جُرُزاً﴾[٥١]. وقوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾[٥٢]. و﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلا...﴾[٥٣] إلى آخر السورة.

ملاحظة: ان السور المكية قد تحتوي على آيات مدنية، أما العكس فلا يتحقق القول فيه بوجود سور مدنية فيها آيات مكية، إذ لا يُعقل أن تتنزل آيات مكية وتبقى من دون انتماء لأية سورة تُحيط بها الى أن تنزل السورة المدنية فتلتحق بها، ولو قلنا بذلك لكانت الآية أو الآيات في سور مكية ما، ثم تنزع منها وتلتحق بسورة أخرى، وهذا بعيد، أو ان الضابط المعتمد ليس الضابط الزماني!

**المطلب الخامس: أثر المكي والمدني في تربية الإنسان تربية قرآنية:**

تمت الأشارة في مقدمة هذا البحث الى أهمية التدرج في نزول القرآن الكريم، ونجد من الضرورة بمكان ان نشير الى ان على المسلم أن يفيد من معرفة خصائص المكي والمدني ومميزاته في مجال الدعوة الى الله ، وأن يستلهم منهج التربية الإسلامية من النبي (ص) ، والتي منها:

أن يركز على الأصول العامة وأولها الإيمان بالله  واليوم الآخر، فإذا تحقق لدى المدعويين الإيمان بالله واليوم الآخر نتدرج بعد ذلك معهم فنذكر الأحكام التفصيلية.

إن فهمَ القرآن الكريم بهذه الرؤية المنهجية، وإدراكَ تضمن القرآن المكي لكليات الشريعة، وتضمن القرآن المدنيّ لجزئياتها؛ له الأثر البالغ في تربية الإنسان تربية قرآنية؛ فإن المسلمين الذين عايشوا نزول القرآن المكي، وتربوا بهداياته كانوا أكثر اجتهاداً ورسوخاً لتعاليم الإسلام. لهذه التربية مثالاً عن رجل سُئل عن نصاب الزكاة، وهو قد تربى بالقرآن المكي، الذي كان يدعو ويشجع على الإنفاق في سبيل دعوة الإسلام بلا قيد ولا شرط؛ فيقول: (فإذا سمعت مثلاً أن بعضهم سئل عما يجب من الزكاة في مائتي درهم، فقال: أما على مذهبنا؛ فالكل لله، وأما على مذهبكم؛ فخمسة دراهم)[٥٤].

إن لكل مرحلة من مراحل التربية موضوعاتها وأساليب الخطاب فيها، فالخطاب يختلف باختلاف أنماط الناس ومعتقداتهم وأحوال بيئتهم، ويبدو هذا واضحاً جلياً في أساليب القرآن الكريم المتنوعة في مخاطبة المؤمنين والمشركين والمنافقين وأهل الكتاب.

من خلال التأمل في القرآن المكي والمدني ومراحل النزول يظهر بجلاء سمو السياسة الشرعية في تربية الأفراد والأمم حيث اعتمد القرآن الكريم سياسة التدرج في التشريع حسب ما تقتضيه أحوال المخاطبين واستعداداتهم للقبول والتنفيذ(٥٥).

ان معرفة خصائص ومميزات القرآن المكي والمدني تعطي منهجاً تربوياً مميزاً لطرائق الخطاب في الدعوة الى الله تعالى بما يلائم نفسية المخاطب، ويمتلك عليه لبه ومشاعره، قال الإمام جعفر الصادق (ع): (ما كلم رسول الله (ص) العباد بكنه عقله قط). وقال (ع): (قال رسول الله (ص): إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم)(٥٦).

ومن ذلك يروى انه جاء أعرابي إلى الإمام علي „ فقال: (ما بالك وبال أصحابك من قبلك، اختلف الناس عليك ولم يختلفوا على من كان قبلك؟ قال „: لأنهم كانوا يتأمرون على أمثالي وأنا أتأمر على أمثالك)(٥٧).

نعم.. إن فهم الواقع من أهم دعائم التدرج، لأن المصلح إذا لم يفقه واقع المجتمع فلن يستطيع يحدد كيف يتدرج ومن أين يبدأ التدرج وما هو الذي يعالجه التدرج، والذي لا يعالجه.

**الخاتمة:**

من خلال هذه الرحلة في علم المكي والمدني نحط الرحال في الخاتمة التي فيها:

إنّ الاصطلاح الراجح في تعريف المكي والمدني والذي درج عليه أكثر العلماء هو: أنّ المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدنيّ ما نزل بعدها، سواء نزل بمكة أم بالمدينة، عام الفتح أو عام حجّة الوداع (البلاغ)، أم بسفر من الأسفار.

ان قلة عدد المسلمين في مكة أول البعثة، وكون المشركين كثرة عند نزول القرآن الكريم لحظنا ان الحديث مع الكفار أسلوبه ولمخاطبة المسلمين طريقتها.

فالقرآن في مكة يدافع عن القلة من المسلمين، ويرفق بهم وينافح عنهم وسط هذه البيئة من الأعداء المشركين وهم بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم ويثبت قلوبهم.

وكان القرآن في مكة يقارع الخصوم ويحطم معتقداتهم الزائفة بالحجة والدليل ويدفع الشبهات، ويبطل الخرافات، ويكشف الأباطيل والترهات، وهم أهل لجاج وعناد، وإصرار واستكبار.

ان القرآن المكي كان أكثر شمولاً وارتباطاً بمادته وموضوعاته بالأسس والركائز للرسالة الجديدة. وقد فسر لنا هذا غلبة المكي على المدني من الناحية الكم مع إن الحقبة الزمنية في المدينة تبدو – تاريخياً – وكأنها زاخرة بالأحداث الجسام والمجتمع المدني أكثر تعقيداً ومشاكل.

اتضح ان سبب الاختلاف في بيان ما هو مكي وما هو مدني.. حصل نتيجةً لاختلاف آراء العلماء في الملاك الذي يعودون إليه في تعيين المراد من المكي والمدني؛ فصارت لهم في هذا مذاهب.

ان علم المكي والمدني من العلوم التي تكلم العلماء فيها باجتهادهم في أغلب أحواله ولهذا السبب كان له أثر كبير على تفسير القرآن الكريم.

واتضح لنا ان الخصائص المكية منها والمدنية في حال انطباقها على أغلب السور القرآنية فلا يعني ذلك أن كل آياتها مكية أو مدنية، إذ يقع الاستثناء في بعض السور بآيات مدنية في سور مكية وآيات مكية في سور مدنية.

كما ان علم المكي والمدني عامل ترجيح بين أقوال المفسرين ومعرفة الصحيح منها.

وأخيراً إن من يهتم بالسيرة النبوية وتتبع مراحل الدعوة، والكشف عن خصائصها، لابد أن يستحضر المكي والمدني، لأنه الكاشف في هذا المقام، وكذا من يعرض لقضية التدرج في التشريعات، التي كانت من سمات هذا الدين، لا يستغني عن معرفة المكي، والمدني.

**الهوامش:**

(١) ظ: د. فهد عبد الرحمن الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ص١٣٤ .

(٢) د. غانم قدوري الحمد، محاضرات في علوم القرآن، ص٧٧.

(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١٩٢/١ .

(٤) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١٩٢/١.

(٥) ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٢٢/١ .

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

(٧) محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص٧٤.

(٨) الزرقاني، مناهل العرفان، ١٩٦/١.

(٩) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١٨٩/١.

(١٠) عبد الفتاح القاضي، المصحف الشريف: ابحاث في تاريخه وأحكامه، ص١١٨.

(١١) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(١٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٨.

(١٣) سورة النساء، الآية: ١.

(١٤) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(١٥) سورة المائدة، الآية: ٣.

(١٦) البرهان في علوم القرآن، ١٨٧/١.

(١٧) مباحث في علوم القرآن، ص١٦٧.

(١٨) محمد علي التسخيري، محاضرات في علوم القرآن، ص٩٧.

(١٩) ظ: د. محمد بن عبد الرحمن الشايع، المكي والمدني في القرآن الكريم، ص٣٣.

(٢٠) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١/ ٣٨.

(٢١) ظ: الشاطبي (ت:٧٩٠هـ)، الموافقات، ١٩٨/٤. نقر جانب الترابط العضوي الذي يراه الشاطبي، ولكن لا نرى أن هذا الترابط يقتصر على البُعد الزمني، وإن كان لمعرفة السياق أثر في التأصيل للأحكام التشريعية، فإن هذه الأحكام

التشريعية هي جزء من بيان وكلام أعم وأشمل، والذي يستفاد من جملة ملامح التصور أو الرؤية الكونية الإسلامية وعلى ذلك فإن بناء صرح المنهاجية لدينا يعتمد على أدوات تحليلة أخرى غير الاستدلال والاستقرار.

(٢٢) محمد حسين الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ص١٢٦.

(٢٣) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١٦٢/١.

(٢٤) محمد حسين الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ص١٢٦.

(٢٥) ابن الضريس، فضائل القرآن، ص٧٥ نقلاً عن: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٣٨/١، ولحظنا زيادة: (ما شاء بالمدينة). الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٢١١/١٠.

(٢٦) الشاطبي، الموافقات، ٢٥٧/٤.

(٢٧) ظ: عبد الله بن يوسف الجديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص٥٩.

(٢٨) ظ: مركز نون للتأليف والترجمة، الوجز في علوم القرآن، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م، ص٩.

(٢٩) ظ: الناسخ والمنسوخ، ص٢١٤.

(٣٠) ظ: البرهان في علوم القرآن، ١٨٧/١.

(٣١) ظ: الإتقان في علوم القرآن، ٤٨/١.

(٣٢) بالغ بعض العلماء في النسخ فأدخلوا فيه ما ليس منه فزعموا أن آية السيف وهي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ سورة التوبة، الآية: ٥، ناسخة للآيات المكية التي تدعو الى كف الأيدي والعفو والصفح، وهذا غير صحيح، فالعفو والصفح عند الضعف والقلة ولا يجوز اللجوء الى الشدة والعنف في ظل النظام الذي يمكن المسلم من الدعوة الى الله تعالى ولا يُضيق عليه. وقد فصّل السيد الخوئي في هذا المبحث. ظ: البيان في تفسير القرآن، ص٣٠٥. ظ: محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص٧٥.

(٣٣) ومثالنا على هذا بسورة الأنعام (المكية) التي استوعبت أصول الدعوة المكية، وسورة البقرة التي نزلت بعدها تفصيلا وتقريرا لها؛ يقول الشاطبي: (ثُمَّ لَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَ مِنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَهِيَ الَّتِي قَرَّرَتْ قَوَاعِدَ التَّقْوَى الْمَبْنِيَّةَ عَلَى قَوَاعِدِ سُورَةِ الْأَنْعَامِ). الموافقات، ٢٥٧/٤.

(٣٤) جاءت (كَلَّا) في ثلاثة وثلاثين موضعاً من القرآن تضمها خمس عشرة سورة تقع جميعها في النصف الثاني من القرآن، ومنها:

١. المعنى الأول: وهو معنى الرد والإنكار والردع؛ مثل قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾. سورة الهمزة، الآية: ٣.

٢. والمعنى الثاني: بمعنى " حقاً " نحو قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾. سورة المطففين، الآية: ١٨.

٣. والمعنى الثالث: أن تأتي للاستفتاح بمعنى ( ألا ) نحو قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾. سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.

(٣٥) محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص٩٥.

(٣٦) المصدر نفسه.

(٣٧) ظ: د. محمد بن عبد الرحمن الشايع، المكي والمدني في القرآن الكريم، ص٢٨.

(٣٨) ظ: د. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص١٨٢.

(٣٩) الصدوق، الأمالي، ص٣٥٠.

(٤٠) نقله السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٣٥/١.

(٤١) مناهل العرفان، ١٨٩/١.

(٤٢) التسهيل في علوم التنزيل، ١٤/١.

(٤٣) القرآن في الإسلام، ص١٣٢.

(٤٤) التفسير الحديث، ١٣/١.

(٤٥) ظ: العياشي، تفسير العياشي، ٢٨٨/١، المجلسي، بحار الأنوار، ٢٧٤/٨٩.

(٤٦) ظ: موجز علوم القرآن، ص١٤٢.

(٤٧) سورة الانفال، الآية: ٦٤.

(٤٨) سورة المجادلة، الآية: ٧.

(٤٩) سورة يونس، الآية: ٤٠.

(٥٠) سورة يونس، الآية: ٩٤-٩٥.

(٥١) سورة الكهف، الآية: ١-٨.

(٥٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٥٣) سورة الكهف، الآية: ١٠٧.

(٥٤) الشاطبي، الموافقات، ٣٦٧/١.

(٥٥) ومثالنا في ذلك ان الباحث المدقق في سياسة التشريع الإسلامي للجهاد يجد (أن السمة البارزة فيه هي: التدرج، فقد شرَع الله في مكة جهادَ النفس والهوى والشيطان، كأساس لكل أنواع الجهاد، ثم شرع جهاد الكفار في مكة ثانياً بالصبر على أذاهم، وتوضيح الحُجة لهم، والاستمرار في دعوتهم إلى دين الحق، ثم لَمَّا صاروا على العناد، شرَع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد)؛ د. جمال العمري، أدب الحرب والسلام في سورة الأنفال، دار المعارف، ١٩٨٩، ص١٢٤.

(٥٦) الكليني، الكافي، ٢٣/١.

(٥٧) ظ: الطرطوشي ابو بكر (ت:٥٢٠هـ)، سراج الملوك، ص٩٤.

**المصادر والمراجع:**


١. جمال العمري (الدكتور)، أدب الحرب والسلام في سورة الأنفال، دار المعارف، ١٩٨٩م.

٢. الخوئي ابو القاسم (مرجع ديني معاصر)، البيان في تفسير القرآن، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٩٨٩م.

٣. داوود العطار (الدكتور)، موجز علوم القرآن، مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الإسلامية، النجف الأشرف.

٤. الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.

٥. الزركشي بدر الدين(ت:٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، دار الغدير الجديد، القاهرة، ٢٠١٥م.

٦. السيوطي جلال الدين(ت:٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية،بيروت،٢٠٠٤م.

٧. الشاطبي، لشاطبي (ت:٧٩٠هـ)، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان،١٩٩٧م.

٨. صبحي الصالح (الدكتور)، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م.

٩. الصدوق (ت:٣٨١هـ)، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، الناشر: مركز الطباعة والنشر، طهران، ١٤١٧هـ.

١٠. الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، مكتبة دار المجتبى، النجف الأشرف، ٢٠٠٩م.

١١. الطرطوشي ابو بكر (ت:٥٢٠هـ)، سراج الملوك، دار صادر، بيروت.

١٢. عبد الفتاح القاضي، المصحف الشريف: ابحاث في تاريخه وأحكامه، الناشر: مكتبة الجندي، القاهرة، ٢٠١٥م.

١٣. عبد الله بن يوسف الجديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مؤسسة الريان، بيروت، ط٥، ٢٠١١م.

١٤. العياشي محمد بن مسعود (ت:٩٣٢هـ)، تفسير العياشي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠١٠م.

١٥. غانم قدوري الحمد (الدكتور)، محاضرات في علوم القرآن، دار عمار، الأردن، ٢٠٠٣م

١٦. الغرناطي (ت:٧٤١هـ) محمد بن أحمد بن جزي، التسهيل في علوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم، بيروت.
١٧. فهد عبد الرحمن الرومي (الدكتور)، دراسات في علوم القرآن الكريم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١٩، ٢٠١٤م.
١٨. المجلسي محمد باقر (ت:١١١١هـ)، بحار الأنوار، تحقيق: السيد إبراهيم الميبانجي وآخر، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
١٩. محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، مجمع الفكر الإسلامي، قم، ١٤٢٦هـ.
٢٠. محمد بن عبد الرحمن الشايع (الدكتور)، المكي والمدني في القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ١٩٩٨م .
٢١. محمد بن عبد الرحمن الشايع (الدكتور)، المكي والمدني في القرآن الكريم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٧م.
٢٢. محمد حسين الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ترجمة: السيد احمد الحسيني، مؤسسة المحبين للطباعة والنشر، مدينة االصدر، ٢٠٠٤م..
٢٣. محمد عزة دروزة، التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ٢٠٠٠م.
٢٤. محمد علي التسخيري، محاضرات في علوم القرآن، المنظمة العالمية للحوزات والمدارس الإسلامية، قم، ٢٠٠٣م.
٢٥. مركز نون للتأليف والترجمة، الوجيز في علوم القرآن، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.